

مصادر التنشئة الاجتماعية في العراق

القديم

م.م. هاشم طه رحيم
كلية الاداب / جامعة واسط

م.م. نجاد حسن حجي
كلية الاداب / جامعة واسط

المقدمة :

منذ الألف الخامس قبل الميلاد على الأقل برز العراق القديم بصورة مميزة يقود ركب الحضارة احيانا ويتخلف احيانا اخرى , استطاع في كلا الحالتين ان يشغل مكانته الجديرة بالحياة الإنسانية كعلم من اعلامها ورائد فذ من رواد نهضتها فلقد كان الانسان في هذه المنطقة من الأرض اول من تفاهم بالحرف المكتوب وتلك هي اعظم خطوة خطاها في طريق الحضارة . وأنشأ في هذه البقعة من الارض اول نواة للمجتمع المتحضر الذي كان من اهم صفاته المؤسسة الاجتماعية التي اصبحت فيما بعد منارة اهدت به البشرية من خلال اول لبنة للاسرة واول مدرسة فكان اول تلميذ واول معلم واول كتاب عرفته البشرية , وكلها احداث فريدة في تاريخ البشرية . ان اهتمام اهل العراق القديم بالإنسان دفعهم الى عناية رائدة في تثبيت البيئة التي تؤمن العيش السليم للانسان حيث أدركوا أهمية الإنسان بوصفه عضوا مهما في المجتمع وان وجوده ونموه ورفاهيته تحدد في ضوء علاقته ببقية اعضاء المجتمع فحرصوا على تطبيق النظم التي تؤمن ذلك .

الغاية من الدراسة :

1. التعريف بالتنشئة الاجتماعية وأهدافها وخصائصها واهم العوامل المؤثرة فيها.
2. عرض لأهم مصادر التنشئة الاجتماعية في حضارة وادي الرافدين وما لهذه المصادر من أهمية تاريخية في وضع اللبنة الأولى لمؤسسات التنشئة الاجتماعية .

التنشئة الاجتماعية (Socialization) :

هي عملية يكتسب الأطفال من خلالها الحكم الخلقى والضبط الذاتي اللازم لهم حتى يصبحوا اعضاء راشدين مسؤولين في مجتمعهم . وهي عملية تعلم وتعليم وتربية , تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف الى اكساب الفرد (طفلاً فمراهقاً فمراهقاً فمراهقاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة تهدف لادوار اجتماعية معينة . تمكنه من مساندة جماعته والتوافق الاجتماعي معها وتكسبه الطابع الاجتماعي وتيسر له الاندماج في الحياة الاجتماعية⁽¹⁾ وتشارك اطراف عديدة في عملية التنشئة الاجتماعية كالاسرة والمدرسة والمسجد والرفاق وغيرها الا ان اهمها الاسرة بلا شك كونها المجتمع الإنساني الأول الذي يعيش فيه الطفل والذي تنفرد في تشكيل شخصية الطفل لسنوات عديدة من حياته تعد حاسمة في بناء شخصيته⁽²⁾ .

أهداف التنشئة الاجتماعية :

هنالك عدة اهداف للتنشئة الاجتماعية يمكن اجمالها بما يلي :⁽³⁾

1. غرس عوامل ضبط داخلية للسلوك وتلك التي يحتويها الضمير وتصبح جزءاً اساسياً لذا فإن مكونات الضمير اذا كانت من الانواع الايجابية فأن هذا الضمير يوصف بأنه حي وأفضل اسلوب لاقامة نسق الضمير في ذات الطفل ان يكون الابوان قدوة لابنائهما حيث

لا ينبغي ان لا يأتي احدهما او كلاهما بنمط سلوكي مخالف للقيم الدينية والآداب الاجتماعية .

٢. توفير الجو الاجتماعي السليم الصالح واللازم لعملية التنشئة الاجتماعية حيث توفر الجو الاجتماعي للطفل من وجوده في أسرة مكتملة تضم الاب والام والاخوة .

٣. تحقيق النضج النفسي ،اذ لا يكفي لكي تكون الاسرة سليمة متمتعة بالصحة النفسية ان تكون العلاقات السائدة بين هذه العناصر متزنة سليمة وان لا تعثر الطفل في نموه النفسي والواقع ان الاسرة تنجح في تحقيق النضج النفسي للطفل .

صفات وخصائص التنشئة الاجتماعية :

١. تعد التنشئة الاجتماعية عملية تعلم اجتماعي يتعلم فيها الفرد عن طريق التفاعل الاجتماعي ادواره الاجتماعية والمعايير الاجتماعية التي تحدد هذه الادوار .

- عملية نموه يتحول خلالها الفرد من طفل يعتمد على غيره متمركز حول ذاته لا يهدف من حياته الا اشباع الحاجات الفسيولوجية الى فرد ناجح يدرك معنى المسؤولية الاجتماعية وتحولها مع ما يتفق مع القيم والمعايير .

٢. أنها عملية مستمرة تبدأ بالحياة ولا تنتهي الا بانتهاءها .

٣. تختلف من مجتمع الى اخر بالدرجة ولكنها لا تختلف بالنوع .

٤. التنشئة الاجتماعية لا تعني صب افراد المجتمع في بودقة واحدة بل تعني اكتساب كل فرد شخصية اجتماعية متميز قادرة على التحرك والنمو الاجتماعي في اطار ثقافي معين على ضوء عوامل وراثية وبيئية .

ومن خصائص التنشئة ايضا انها تاريخية : أي ممتدة عبر التاريخ , وانسانية يتميز فيها

الانسان دون الحيوان , وتلقائية أي ليست من صنع فرد او مجموعة من الافراد بل هي من صنع المجتمع وهي نسبية أي تخضع لاثر الزمان والمكان (٤).

العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية :

العائلة هي اول عالم اجتماعي يواجهه الطفل , وافراد الاسرة هم مرآة لكل طفل لكي يرى نفسه والاسرة بالتأكيد لها دور كبير في التنشئة الاجتماعية , ولكنها ليست الوحيدة في لعب هذا الدور ولكن هناك الحضانة والمدرسة ووسائل الاعلام والمؤسسات المختلفة التي اخذت هذه الوظيفة من الاسرة , لذلك قد تعددت العوامل التي كان لها دور كبير في التنشئة الاجتماعية سواء كانت عوامل داخلية او خارجية (٥) .

أولاً : العوامل الداخلية :

١- الدين : يؤثر الدين بصورة كبيرة في عملية التنشئة الاجتماعية وذلك بسبب اختلاف الاديان والطباع التي تتبع من كل دين , لذلك يحرص كل دين على تنشئة افراده حسب المبادئ والافكار التي يؤمن بها .

٢- الاسرة : هي الوحدة الاجتماعية التي تهدف الى المحافظة على النوع الانساني فهي اول ما يقابل الانسان , وهي التي تشارك بشكل اساسي في تكوين شخصية الطفل من خلال التفاعل والعلاقات بين الافراد , لذلك فهي اول العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية .

٣- نوع العلاقات الاسرية : تؤثر العلاقات الاسرية في عملية التنشئة الاجتماعية ذلك ان السعادة الزوجية تؤدي إلى تماسك الأسرة مما يخلق جواً يساعد على نمو الطفل .

٤- الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها الأسرة : تعد الطبقة التي تنتمي إليها الأسرة عاملاً مهماً في نمو الفرد , اذ تصبغ وتشكل وتضبط النظم التي تساهم في تشكيل شخصية الطفل فالاسرة تمثل اهم محور في نقل الثقافة والقيم للطفل التي تصبح جزءاً جوهرياً .

٥- الوضع الاقتصادي والاجتماعي للأسرة : لقد أكدت العديد من الدراسات ان هناك ارتباط ايجابي بين الوضع الاقتصادي والاجتماعي للطفل وبين الفرص التي تقدم لنمو للطفل , والوضع الاقتصادي من احد العوامل المسؤولة عن شخصية الطفل ونموه الاجتماعي .

- ٦- **المستوى التعليمي والثقافي للأسرة** : يؤثر ذلك من حيث مدى ادراك الاسرة لحاجات الطفل وكيفية إشباعها والأساليب التربوية المناسبة .
- ٧- **نوع الطفل (ذكر أو أنثى) وترتيبه في الأسرة** : اذ ان ادوار الذكر تختلف عن ادوار الأنثى فالطفل الذكر ينمى في داخله المسؤولية والقيادة والاعتماد على النفس , في حين ان الأنثى في المجتمعات الشرقية خاصة لا تنمى فيها هذه الأدوار , كما ان ترتيب الطفل في الأسرة كأول الأطفال أو الأخير أو الوسط له علاقة بعملية التنشئة الاجتماعية سواء بالتذليل أو عدم خبرة الأسرة بالتنشئة وغير ذلك من العوامل .
- ثانياً : العوامل الخارجية :**

١. **المؤسسات التعليمية** : وتتمثل في دور الحضانة والمدارس والجامعات ومراكز التأهيل .
٢. **جماعة الرفاق** : حيث الأصدقاء من المدرسة او الجامعة او النادي او الجيران وقاطني نفس المكان وجماعات الفكر والعقيدة والتنظيمات المختلفة .
٣. **دور العبادة** : مثل المساجد والكنائس وأماكن العبادة المختلفة .
٤. **ثقافة المجتمع** : لكل مجتمع ثقافته الخاصة المميزة له والتي تكون لها صلة وثيقة بشخصيات من يحتضنه من الافراد , لذلك فثقافة المجتمع تؤثر بشكل أساسي في التنشئة .
- الوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع** : حيث ان كلما كان المجتمع أكثر هدوءاً واستقراراً ولديه الكفاية الاقتصادية كلما ساهم ذلك بشكل ايجابي في التنشئة الاجتماعية , وكلما اكتنفته الفوضى وعدم الاستقرار السياسي والاقتصادي كان العكس هو الصحيح .
٥. **وسائل الإعلام** : لعل اخطر ما يهدد التنشئة الاجتماعية الآن هو الغزو الثقافي الذي يتعرض له الأطفال من خلال وسائل الإعلام المختلفة وخاصة التلفزيون , حيث يقوم بنشويه العديد من القيم التي اكتسبها الأطفال إضافة إلى تعليمهم العديد من القيم الأخرى الدخيلة على الثقافة المحلية .
- مؤسسات التنشئة الاجتماعية :**

تتم عملية التنشئة عن طريق مؤسسات اجتماعية متعددة تعمل وكالات للتنشئة نيابة عن المجتمع أهمها الأسرة والمدرسة ودور العبادة , وجماعة الرفاق , ووسائل الإعلام ودور كل مؤسسة كما يلي :

١. **الأسرة (the family)** : هي الممثلة الأولى للثقافة , وأقوى الجماعات تأثيراً في سلوك الفرد , وهي المدرسة الاجتماعية الأولى للطفل , والعامل الأول في صيغ سلوك الطفل بصيغة اجتماعية .
٢. **المدرسة (the school)** : هي المؤسسة الاجتماعية الرسمية التي تقوم بوظيفة التربية , ونقل الثقافة المتطورة وتوفير الظروف المناسبة لنمو الطفل جسدياً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً .
٣. **المجتمع (the society)** : ويقصد به المؤسسات الأوسع من الأسرة والمدرسة ويضم دور العبادة وأماكن العمل ووسائل الإعلام ^(١) .
- مصادر التنشئة الاجتماعية في العراق القديم :**

١- **الأسرة (The Family)** : هي اللبنة الأساسية في تكوين المجتمع ومن مجموع الأسر يتكون المجتمع لذلك فإن صلاحها يعني إصلاح المجتمع وفسادها يعني إفساد المجتمع وتفككه , وتتكون الأسرة في العراق القديم عادة من الأب (الزوج) والام(الزوجة) والأولاد وقد تضم الأسرة أخوات الأب واخوانه ووالديه كما قد تضم غيره من الأقرباء الذين يتولى الأب إعالتهم وإعاشتهم وفي بعض الأسر يوجد الإماء والعبيد الذين يعيشون في الدار نفسها لذلك لا سبيل الى معرفة معدل عدد افراد الاسرة , وكانت رغبة الاسرة بصورة عامة هي الاكثار من الذكور من الاولاد ولم تكن هناك وسائل معينة لتحديد النسل ومع ذلك فقد اشارت بعض

المواد القانونية الى تحريم الانجاب على صنف معين لتحديد النسل ومع ذلك فقد اشارت بعض المواد القانونية الى تحريم الانجاب على صنف معين من اصناف الكهنة^(٧) ولقد كان الرجل يمثل هرم السلطة في الاسرة العراقية القديمة وكانت المرأة تليه في السلطة على الاسرة بعد ابنه الاكبر عند موته وكانت الاسرة في بابل اشد تماسكاً منها في آشور ومن الظواهر التي تستحق الالتفات ان الزوج كان يقوم على اساس عقد صريح وان سجلات معينة كانت تدون بها المواليد ، وان التبني كان امراً شائعاً وقد خصصت شريعة حمورابي من المادة ١٢٧ الى ١٩٣ قوانين تتعلق بالأحوال الشخصية تناولت احكام قذف الكاهنة العليا او المرأة المحصنة بالزنا وترتيب حصص الأولاد في الورثة ومال الأرملة وتبني الأطفال وإرضاعهم وقد كشف ما عثر عليه من وثائق بابلية وآشورية على مدى العناية بالأسرة وتنظيمها حتى إننا لا نجد بين أيدينا صور بالغة الكمال عن حياة الأسرة لا في عصور الحضارة البابلية والآشورية فحسب بل وفي العصور السابقة لهما كذلك مما يلقي ضوءاً على تطور هذه النظم في مختلف العصور . وكان إعداد الطفل للحياة يبدأ مع بعد اجتيازه لمرحلة الطفولة المبكرة ، فكانت الطبقات الفقيرة توجه أبناءها للعمل في سن مبكرة ليكتسبوا مراناً وليعدوا لمهنة معينة، اما ابناء الطبقات الأخرى فكان يبعث بهم الى فصول الدراسة في المعبد او يؤتى لهم بالمربين ويتلقون مبادئ الكتابة والحساب ثم يدرسون على نواحي معينة من الدراسة حتى ينشئوا ليشغلوا بعض مناصب الدولة كالقضاة والكتبة او يُوجهون لدراسة الفلك وغيرها من العلوم ويدفع بهم الى المؤسسات الحرفية لتلقي نصيباً من التعليم والتمرين يساعدهم في شق طريقهم إلى الحياة ، وحين يبلغ الطفل مرحلة الصبا ويفكر في الزواج حيث ان السن الشرعية للزواج هي سن العاشرة فإن الامر ينحسر في يد رب الاسرة اذ ان التقاليد في بابل كانت تشير الى ان الاب هو الذي يختار خطيبة لابنه ، واما الفتاة فتقع هي الأخرى ضمن سلطة ابيها بحيث انها لا تستطيع الزواج الا بموافقة حتى لو كانت في خدمة شخص آخر رهناً لدين وكانت القوانين السومرية تحتم على من يغتصب فتاة ان يتقدم الى اهلها طالباً الزواج منها واما اذا تقدم لخطبتها ورفض طلبه واغتصبها بعد ذلك فإن عقوبته على جريمته هي^(٨) . ومن المظاهر الشائعة في العراق القديم هي ظاهرة التبني (Adopation) التي كانت تسد حاجة من حاجات المجتمع الرئيسية وهي توفر الأولاد للاسر التي لا تنجب الأطفال ، (Childless Family) اذ كانت بعض الاسر تتبنى عدد من الأطفال (الذكور والاناث) ويتم التبني بموجب عقد مدون شريطة ان يقوم بالتزاماته اتجاههم بحيث يعامل الابن المتبني معاملة الابناء الطبيعيين من حيث التعليم والثقافة والميراث وفي الوقت نفسه يجب على الابن المتبني اطاعة من تبنيه ومعاملتهما كوالديه الحقيقيين وان لم يلتزم بذلك فلهما الحق بضربه او استعباده^(٩) .

٢- **المدرسة** : ان اول مدرسة في العالم كانت قد اسست في بلاد ما بين النهرين وكان ذلك قبل خمسة الاف سنة حيث عرف السومريون الكتابة لأول مرة في التاريخ وكانت المدرسة السومرية ثمرة اكتشاف الكتابة وتطورها وتلك هي اعظم الانجازات الحضارية التي انجزها البشر عبر القرون من خلال دراسة النصوص المسمارية المكتشفة في مختلف المواقع الاثرية ، تبين ان نظام التعليم مر في تاريخ بلاد الرافدين بثلاث حقبة رئيسية يمكن حصرها كالآتي :^(١٠)

١. **الحقبة الأولى** : تنحصر في الألف الثالث ق.م تمثلها نصوص عصور فجر السلالات (٢٨٠٠ - ٢٤٠٠ ق.م) والعصر الاكدي (٢٣٧١ - ٢٢٣٠ ق.م) وعصر سلالة أور الثالثة (٢١١٢ - ٢٠٠٤ ق.م) عثر عليها في مواقع كيش ونفر وابو الصلابيخ ولجش وسبار وماري وشروباك .
٢. **الحقبة الثانية** : وهي أغزر المراحل من حيث عدد النصوص المكتشفة وتتمثل بنصوص العصر البابلي القديم فـ في حدود

(٢٠٠٠ - ١٦٠٠ ق.م) وتمثلها المراكز الحضارية في سبار ونيبور وأوروك (الوركاء) وتل حرمل (شاديم) وتل حداد (ميتوران) .
٣. الحقة الثالثة : وتمثلها النصوص التي يرقى تاريخها الى ما بعد العصر البابلي القديم أي في العصر البابلي الوسيط والعصر الأشوري الوسيط والعصور الآشورية التالية .

المؤسسات التعليمية والمدارس :

كان نشووها نتيجة مباشرة وحتمية لابتكار الكتابة وتطورها والذي يعد بدوره ابرز مشاركة حضارية أغنت بها بلاد الرافدين الحضارة البشرية فقد كانت المدارس الاولى ملحقة بالمعابد حيث كان المعبد المدرسة الأولى لتنشئة الجيل وتعليمه كما كان الكهنة فيها المعلمين الأوائل والمؤسسين الفعليين لتلك المدارس فقد ظهرت الحاجة الى مراكز التعليم منذ وقت مبكر ، لتقوم بتدريب الأولاد على مبادئ القراءة والكتابة وتعليمهم فيما بعد العلوم الأساسية الأخرى . فقد ابانت المكتشفات الأثرية ان تعليم الأولاد كان قد ابتدأ منذ ابتداء الكتابة كما تشير الى ذلك أقدم الألواح المكتشفة في الوركاء (الطبقة الرابعة) وهي تحمل كتابة صورية على الألواح مما يمكن تسميته بالنصوص أو الألواح المدرسية التي كان قد كتبها المبتدئون لتعليم الكتابة الصورية . كما أظهرت التحريات الأثرية مجموعة من الألواح المدرسية المهمة الأخرى التي ترقى بتاريخها الى العصر البابلي القديم خلال النصف الاول من الألف الثاني ق.م ومن خلال دراسة تلك الرقم المدرسية تمكن الباحثون من تقسيم المدارس في بلاد الرافدين إلى نوعين :^(١١)

أ. المدارس الابتدائية : وهي المدارس التي كان يتلقى فيها التلميذ اللغة والقراءة والكتابة والحساب ومعرفة المفردات اللغوية والموسيقى ، ويطلق عليها بالمصطلح السومري " دبَا E.DUB. BA.A " اما في اللغة الاكدية فسميت (بيت طَبَّ bit-tuppi) التي تعني بيت الألواح .
ب. المدارس المتقدمة : تشمل المدارس التي كانت تعلم العلوم على اختلافها كالرياضيات والفلك والطب والسحر والادب وغيرها ، وسميت هذه المدارس بـ (بيت الحكمة) (بيت مُمَّ bit-mumme) إذ كانت هذه المدارس بمثابة المعاهد العالية ، وقد اطلق على الملتحقين بها (الدخول في بيت الحكمة) اريب (بيت) مُمَّ erib (bit) mumme كذلك ترد إشارة واحدة حول وجود المدارس في بلاد آشور من العصر الآشوري الحديث (٩١١-٦١٢ ق.م) كان يتم تدريب الكتبة فيها ، فقد ذكر عن مجموعة تسمى (كتبة كائز) إشارة الى تلاميذ وهم يتعلمون مهنة الكتابة . الا انه ليس لدينا ادلة على وجود مدارس أخرى لحقول أخرى من التعليم هناك ، لقد امدتنا النصوص المسمارية المكتشفة في هذه المدارس بمادة غنية عن نظام التعليم ومعلومات مهمة أخرى تخص المدرسة وإدارتها وما تضم من طلبية ومعلمين وعن مناهج الدراسة وأساليب التعليم كما كان من بينها نصوص تحمل مذكرات الكتبة الخاصة في ايام حياتهم الدراسية المبكرة ونصائح وامثلة ذات علاقة بايام الدراسة ، مع اشادات باهمية التعليم في حياة الطالب وقد وردت هذه المعلومات على هيئة نصوص تعليمية كتبها التلاميذ بالسومرية في تلك المدارس التي تدربوا فيها . واعطوا وصفاً مفصلاً لما كان يجري في اروقتها ، ومن المعطيات التي وصلتنا من هذه النصوص ايضاً ما يسمى بالعملية التعليمية والتي كانت تدور على ثلاثة محاور رئيسية هي :^(١٢)

١. الطالب .

٢. المعلم .

٣. المناهج الدراسية .

وقد توضحت من خلال دراسة هذه النصوص تكاد تكون متكاملة عن الحياة الدراسية وكان من بين تلك النصوص ، ما اطلق عليه الباحثون مجازاً (ايام الدراسة) و(المشاكسون في المدرسة) و(الكاتب وابنه الضال) و (حوار بين وكيل وكاتب) ، فقد اشير في هذه النصوص الى الجوانب المفصلة للحياة التعليمية وانظمتها وتمييز شخوصها ويأتي في مقدمتهم او على رأس الهرم التعليمي (الخبير او المتخصص) وكان يطلق عليه بالمصطلح السومري (اميا UM.MI.A) ويقابله باللغة الاكدية : (أَمَان ummaianu/ummenu) والتي تقابل في وقتنا الحاضر المشرف التربوي او الاختصاصي ، يلي الخبير في سلم الكادر التعليمي (مدير المدرسة) والذي يدعى باللغة السومرية (اد. أ. دَبَا AD.E.DUB.BA) ويقابلها بالاكديّة (اب بيت – طَبَات AB BIT TUPPATI) وتعني حرفياً (أبو المدرسة) وكان له دور بارز في عملية التعليم وإدارة شؤون المدرسة ، ويأتي بعد مدير المدرسة ، (الأخ الكبير) الذي يعاونه في التعليم وإدارة المدرسة ويعتقد انه كان تلميذاً في مرحلة دراسية متقدمة يوكل اليه المتعلمون مهمة مساعدة المبتدئين من زملائه التلاميذ في تحضير واجباتهم اليومية ومتابعتهم في أداء ذلك ويطلق عليه باللغة السومرية (شيش . كال SES.GAL) ويقابلها بالاكديّة (أخ – رَابْ ahu rabu) ، إذا كان يقوم بكتابة الألواح الجديدة للتلاميذ بغية استنساخها في المدرسة والبيت ومن ثم يفحص استنساخاتهم ويستمع اليهم بعد تحضيرها وقراءتها في اليوم التالي وقد كان للأخ الأكبر (شيش كال) الدور المهم في هذا الجانب إذ اتقن اسلوب استنساخ هذه النصوص الأدبية كما ألمّ بأسلوب وتركيب الرسائل والعقود بطريقة الاستنساخ ، كما كان يتقن مصطلحاتها المستخدمة وفي كل اختصاص معين باستنساخ قوائم للمفردات الفنية ، لقد سهلت تصنيف هذه المصطلحات في مجاميع وقوائم خاصة وحسب الموضوعات عملية التعلم وقلل من جهد الطلبة إلى حد ما في معرفة المصطلحات المستخدمة في النحو والإنشاء المعقد ويبدو ان غالبية هذه القوائم المعجمية كانت مقررة للطلبة المتقدمين ، كما كان من ضمن الهيئة الإدارية في المدرسة (رجل النظام) وكان يطلق عليه المصطلح السومري (LU.GAS.HUR.RA) إذ كان يقوم بمراقبة سلوك التلاميذ خارج المدرسة ، الى جانب ذلك كان هناك المسؤول عن الانضباط في المدرسة وكان يدعى بـ (رجل السوط LU.AS.NA.GA) ، اما فيما يتعلق بالمعلمين فمنهم معلم اللغة السومرية ومعلم اللغة الاكدية ومعلم النشيد الذي كان يطلق عليه (NAR.GAL) ويقابله بالاكديّة (نرْكَلُ NARGALLU) أي الموسيقي الكبير و (NAR.TUR) ويقابله باللغة الاكدية (نرْتُرُ NARTURRU) أي الموسيقي الصغير ، اما التلميذ فقد عرف بالمصطلح السومري (DUMU.E.DUB.BA) أي ابن المدرسة او ابن بيت الألواح ويقابله باللغة الاكدية (مار- بيت – طَبَات MAR BIT TUPPATI) وكذلك (شَمَلُ صخرُ salalu sehru) او agisgu اللذان يعنيان المتدرب الصغير وهذا اللقب كان يوصف به التلميذ في المدرسة قبل ان يتخرج ويمنح لقب (DUB .SAR) كما وردت مصطلحات للإشارة إلى التلميذ مثل (طبشر صخر TUPSARRUEHRU) : AKK و (دبسار . ثر SUM: (DUB.SAR.TUR) التي تعني الكاتب الصغير او المتدرب .

وفيما يخص المناهج التعليمية فقد كانت المدرسة تدرس جميع خصائص مهنة الكاتب للإمام بالمنهج الدراسي الذي كان يغطي اربعة حقول تعليمية هي : اللغة (بضمنها المفردات والقواعد) والأدب والرياضيات (وبضمنها المساحة) والموسيقى . وفي الفترة الاكدية حلت اللغة الاكدية محل السومرية كلغة في المخاطبات الرسمية والدبلوماسية وفي تدوين العقود الاقتصادية في بلاد الرافدين مما تطلب من التلاميذ إتقانها في المكاتبات^(١٣) . ومن الجدير بالذكر ومن خلال النصوص المسمارية يتضح لنا ان هناك علاقة وثيقة بين المدرسة والأسرة ولما هاتين المؤسساتين من دور بارز في تنشئة الطفل وإبراز شخصيته من خلال الأساليب المستخدمة في كلتا المؤسساتين .

٣. المجتمع : كان المجتمع العراقي القديم ، كغيره من المجتمعات القديمة والحديثة يتألف من شرائح عدة منها الحاكمة والمنتفعة سياسياً او اقتصادياً او دينياً ومنها المحكومة والتي ضمت

عامة الناس ومنها المملوكة وفي مقدمة الفئات الحاكمة تقف الأسرة المالكة التي اكتسبت على مر العصور قدسية واحتراماً خاصين نظراً للمركز الذي يتمتع به الملك وأسرته لدى عامة الناس . ولقد دلت المصادر التاريخية والحفريات الأثرية ان المجتمعات القديمة كانت تعيش في تجمعات صغيرة او كبيرة نسبياً هذه التجمعات لا تزيد عن كونها مجموعة من الصيادين المتجولين وفي مثل هذه التجمعات لم يكن للتدرج الطبقي الاجتماعي وجود بالمعنى الذي نراه اليوم ، ويعتقد ان موضوع الطبقات بدأ في المجتمعات الإنسانية مع بدء النظم الاقتصادية الذي اثر في بناء المجتمعات منذ بداية الخليقة^(١٤) . ولقد قسم الباحثون الطبقات الاجتماعية في العراق القديم الى ثلاث طبقات هي :

١ . طبقة الأحرار الطبقة العليا من المجتمع :
٢ . الطبقة الوسطى من ذوي الحرية المقيدة نوعاً ما وهي طبقة بين الأحرار والعبيد ولها حق تملك العبيد .

٣ . الأرقاء او العبيد ولم ينظر اليهم كبشر لهم شخصية بل هم كالمتاع يعرفون باسماء اصحابهم ولقد اشار قانون حمورابي الى العلاقات التي تقوم بين هذه الطبقات فأشار الى امتيازات الطبقة الاولى وما يقع من عقوبات على من يرتكب جرماً في حقها وهي الطبقة التي تشمل الحكام وقواد الجيش وكبار الموظفين ويحدد فرص احترام الطبقات الاخرى ووردت بقانون حمورابي كذلك طريقة معاملة ابناء أفراد الطبقة الثالثة التي نستطيع ان نصفها بأنها طبقة الأحرار نصف أحرار بمعنى انه ليست لهم امتيازات الطبقة الاولى من حيث العقوبات والقصاص^(١٥) .

أماكن العبادة : ثمة دور كبير وخطير لاماكن العبادة في توجيه المسار التربوي في حياة الإنسان عبر التاريخ الطويل لظهور الاديان من بدائية وانسانية وسماوية واماكن العبادة شأنها شأن أي مؤسسة تربوية أخرى تؤثر في حياة الافراد تأثيراً تربوياً كبيراً الى جانب تأثيرها العقائدي والأخلاقي والسلوكي بشكل عام ودور العبادة منذ نشأتها تتعامل مع الناس روحياً وأخلاقياً كما تنمي لديهم القيم والمثل التي ترضيها الديانة المعنية في تلك الفترة .. ويعتبر المعبد (الهيكل) الذي يمثل الطبقة المالكة – الحاكمة ويلاحظ المرء على كل حال عدداً وفيراً من المهن يلتحق أربابها بالهيكل وتتضمن فيهم كل الطبقات الاجتماعية ابتداءً من العبد حتى ابن الملك وابنته .. ولكن لا يستتف افراد هذه الفئات المختلفة من الاندماج في الحياة المدنية فهم لا يأتون بثرواتهم الشخصية الى الهيكل الذي ينتمون اليه ويملكون ارزاقاً شخصية يستثمرونها كما يحلو لهم وكان المعبد يضم اصنافاً مختلفة من الكهنة والكاهنات لها تقاليدھا وازيانتھا وحياتها الخاصة وكانت مهمة الكهنة الأساسية القيام بالطقوس والشعائر الدينية والإشراف على شؤون العبادات ومعاونة المتعبدين في أداء الطقوس الدينية فضلاً عن مهام بعضهم الخاصة بإدارة شؤون المعبد الأخرى الاقتصادية وغيرها^(١٦) . وكان المعبد مكاناً تعقد فيه بعض المحاكمات وأداء القسم وإبرام بعض العقود كما كان المكان الذي تقام فيه الاحتفالات العامة في ايام الاعياد الدينية وبخاصة اعياد رأس السنة التي كانت تجري في بداية كل عام وتستغرق احد عشر يوماً مملوءة بالنشاطات الدينية والاحتفالات والمهرجانات التي يرتاح فيها الناس من تعب ومشاكل السنة المنصرمة كانت تعد بلاد ما بين النهرين مراكز اقتصادية ودينية هامة جدا ويروى ان هذه المعابد كانت تملك (الكهنة) و (المائينا كثورات) والمحترفات ومراكز توزيع .. وكانت لها علاقات تجارية مع الخارج مثل مصر , كما كانت تمتلك يدا عاملة وفيرة تستعملها لتربية العجول والخنازير والحمير والخراف , ولزراعة الشعير والقمح والبلح , كما كانت هذه المعابد تضع يدها على الحرف حتى كان الفلاحون تحت سيطرتها والرعاة والصيادون .. وباختصار , فأنها كانت تملك كل ما من شأنه تامين مسيرة مشروع مستقل .. ومن هنا نفهم استعجال الصياد لإبلاغ والده وبالتالي إبلاغ جلامش عن انكيديو عندما رآه في السهل .. وتجدر الإشارة هنا الى ان هؤلاء الناس لم يكونوا يعلمون لصالح المعبد كعبيد , أما كعمال مأجورين^(١٧) , فكان العبيد يؤلفون طبقة خاصة يتكون معظمهم من اسرى حرب , حيث ينذر عدد معين منهم للالهة من قبل الملك بعد الحملة الظاهرة , ولو ان الكثيرين منهم كانوا يهدون الى المعبد من قبل الكرماء

من الاشخاص المنفعين^(١٨) وذلك لان المعابد تعد عادة مراكز اقتصادية وادارية في العصور التاريخية وما قبلها فتطورها يشير الى تطوير المدينة على مستوى العمارة , كما ان غناء المعبد وثروته تشير الى القوة الاقتصادية للمدينة وسيطرتها على الاراضي المحيطة , ثم ان طبيعة الاله وخواصه تشير الى القوة الجاذبة للمتعبدين من خارج المدينة إليها .. حتى ان الامكانيات العلمية والتعليمية في المعبد هي الاخرى تشير الى قدرة المعبد على الاستمرار والديمومة لكثرة الاجيال التي تتدرب على ادارته واحدا بعد الاخر . اما عن الموقع الذي تشغله المعابد بالنسبة لتخطيط المدن , نلاحظ ان المعابد تختلف باختلاف اساليب تخطيط المدن .. ففي الشمال اذ النظام المتراس في تتابع الاحياء القطاعات السكنية تكون المدينة الملكية عادة خارج جزئيا عن اسوار المدينة او تقع على الحافة الخارجية القريبة للنهر والمطلة عليه وهناك عادة تنتشر المعابد بين القصور كما هو الحال في خرسبارد وفي نينوى .. اما في الجنوب حيث تتركز منطقة القصور والمعابد في مركز المدينة ووسطها فان المعابد تتوزع عادة في المناطق المجاورة للزقورة وقد يحيط بها جميعا سور مركزي واحد ومن الملاحظ ان موقع المعبد يشكل مكانا مقدسا اذ تعد المواقع التي تشيد عليها المعابد داخل المدن مقدسة ولذلك لا تترك أو تهمل وإنما تبقى في موقعها حيث يتم تجديد بنائها بين فترة وأخرى لهذا فان المعابد تظهر بحسب سلطة الآلهة فهناك آلهة قومية وأخرى محلية .. وتتنوع المعابد من حيث الوظيفة التي تقدمها منها ما هو مزار او منها ما يتخذ لغرض التعلم .

ومما سبق يمكن القول ان الديانة العراقية القديمة اتصفت بعدد من الصفات هي (١٩) :

١. مبدأ الحيوية , أي الاعتقاد بوجود قوى او ارواح كامنة في المظاهر الطبيعية المختلفة وتجسيدها على هيئة إلهة .
٢. الاستمرارية , أي ان الطقوس والمعتقدات والآلهة ظلت محافظة على جوهرها خلال العصور التاريخية المختلفة وهذا يعكس طبيعة الحضارة العراقية القديمة في الاستمرار والتواصل .
٣. التشبيه , أي التشبيه بالبشر في هيئتها العامة وحياتها وحواسها وعلاقاتها الاجتماعية غير أنها كانت تنفرد عن البشر بصفة الخلود .. اذاً من خلال ما تم عرضه يتبين لنا أهمية الدين والمعابد في العراق القديم والتي كان لها مكانة كبيرة لانها تمثل تجسيدا لسلطة الآلهة .

الخلاصة :

أن العراق القديم مثل ما كان سابقاً في تأسيس الحضارة بمختلف أوجهها كان له السبق في تأسيس وایجاد الجماعات والمؤسسات في المجتمع والتي كانت مهمتها تربية أجياله وتنمية قدراتهم وإكسابهم الخبرة اللازمة لاستمرار حياتهم وبناء شخصيتهم الاجتماعية من خلال نظام تعليمي أوجدته مصادر التنشئة الاجتماعية التي يمثل القانون المكتوب جزء منها وكذلك الأعراف والتقاليد والتي صهرت في بوتقة واحدة تفاعل من خلالها كل هذه العوامل لتصل الى قيمة حضارية متكاملة من حيث الاختراع والاكتشاف او من حيث النمط السلوكي والثقافة والتراث والتي احتفظ بها افراد المجتمع العراقي قديمه وحديثه فنقله الاجداد الى الاباء والابناء الى الابناء .. اذاً دور التنشئة الاجتماعية والتربية ضروري لكل مجتمع اذ لا يقوم أي مجتمع الا بالتربية ومصادرها ومؤسساتها لتتنقل تراثاً ثقافياً عظيماً استمر وازدهر وتطور وبقي بفضل تلك المصادر التي كانت الاساس في حفظ تراث هذه الامة واستمرارها .

قائمة المصادر :

١. الخشاب , احمد - علم الاجتماع التربوي - القاهرة - مكتبة القاهرة الحديثة - ١٩٨٠ - ص ١٢ .
٢. زهران , حامد , علم النفس الاجتماعي , القاهرة عالم الكتب - ١٩٧٧ ص ٢١٣ .
٣. النجيجي , محمد لبيب - الاسس الاجتماعية للتربية - عالم الكتب - ١٩٧٧ ص ٢١٥ .
٤. خليفة , ابراهيم - مفاهيم في علم الاجتماع - القاهرة - المكتب الجامعي الحديث - ١٩٨٤ - ص ٢٨ .
٥. الرشدان , عبد الله - علم الاجتماع التربوي - عمان - دار عمار للنشر والتوزيع - ١٩٨٦ - ١٣٣ .
٦. نفس المصدر السابق - ص ١٣٥ .
٧. مجموعة من الباحثين - العراق في التاريخ - بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٨٣ - ص ١٨٨ .
٨. ابراهيم د. نجيب ميخائيل - مصر والشرق الأدنى القديم - ج ٦ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٧ - ص ٥ .
٩. مجموعة من الباحثين - العراق في التاريخ - مصدر سابق - ص ١٩٢ .

i. parrot (١٠)

Andre, "Les
Fouilles De

١٠. الفؤادي , عبد الهادي : دور الثقافة في العراق القديم , بغداد ١٩٦١ ص ١٩
١١. أسماعيل , بهيجة خليل : " الكتابة حضارة العراق , بغداد , ١٩٨٥ , ص ٢٤٧ "
١٢. كريم - س. ن - هنا بدأ التاريخ - ترجمة ناجية المراني - بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٨٠ - ص ٩ .
١٣. مجموعة من الباحثين - مصدر سابق - ص ١٨٦ .
١٤. ابراهيم - د. نجيب ميخائيل - مصدر سابق ص ٢٩ .
١٥. ناصر ابراهيم - علم الاجتماع التربوي - بيروت - ب.ت- ص ٢٥٤ .
١٦. ١٧. مجموعة من الباحثين - مصدر سابق ص ٢١٢ .
١٧. سليمان - د. عامر , الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الازمنة التاريخية القديمة , ضمن المدينة والحياة المدنية , بغداد , ١٩٨٨ , ص ٢١٥ - ٢١٦ .
١٨. سيدا عبد الباسط , الدور الشمولي للمعبد الشرقي , مجلة الفكر العربي , مركز الانماء العربي , بيروت , ١٩٨٨ , ص ٨٢ .

المصادر :

١. ابراهيم خليفة - مفاهيم في علم الاجتماع - القاهرة - المكتب الجامعي الحديث - ١٩٨٤ .
٢. احمد الخشاب - علم الاجتماع التربوي - القاهرة - مكتبة القاهرة الحديثة - ١٩٨٠ .
٣. ابراهيم ناصر - علم الاجتماع التربوي - بيروت - ب.ت .
٤. بهيجة خليل اسماعيل : " الكتابة حضارة العراق , بغداد , ١٩٨٥ .
٥. حامد زهران - علم النفس الاجتماعي - القاهرة عالم الكتب - ١٩٧٧ .
٦. س.ن كريم- هنا بدأ التاريخ - ترجمة ناجية المراني - بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٨٠ .
٧. د. عامر سليمان - الحياة الاجتماعية والخدمات في المدن العراقية في الأزمنة التاريخية القديمة , ضمن المدينة والحياة المدنية , بغداد , ١٩٨٨ .
٨. عبد الباسط سيدا , الدور الشمولي للمعبد الشرقي , مجلة الفكر العربي , مركز الانماء العربي , بيروت ١٩٨٨ .
٩. عبد الله الرشدان - علم الاجتماع التربوي - عمان - دار عمار للنشر والتوزيع - ١٩٨٦ .
١٠. عبد الهادي الفؤادي : دور الثقافة في العراق القديم , بغداد ١٩٦١ .
١١. مجموعة من الباحثين - العراق في التاريخ - بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٨٣ .
١٢. محمد لبيب النجيجي - الاسس الاجتماعية للتربية - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٧٧ .
١٣. د. نجيب ميخائيل ابراهيم - مصر والشرق الادنى القديم - ج ٦ - دار المعارف - القاهرة - ١٩٦٧ .
١٤. Parrot,Andre, "Les Fouilles De Mari , Syria Tome ١٧, ١٩٣٦ .